في كل ليلة حكاية

١٢

وأجره على الله

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

«رَضِيَ اللهُ عَنْكَ»

(سَامِي) يُحِبّ الحِكايَاتِ التي تَتَحدَّثُ عن التَّضحيةِ والفِداءِ والشَّجاعةِ وحُبِّ المَوتِ.

لِـذَلِـكَ يـوفِّـرُ مـن مَصـرُوفـهِ بعـضَ النُّقـودِ لِيَشتري بهَا قصَّةً في ذلكَ المَجالِ.

وَفِي هَذهِ اللَّيْلَة ، وَبينمَا الأهلُ مُجتَمِعُونَ على طَعَامِ العَشاءِ.. سَأل خَالتهُ (أمّ أحمد): لِماذا لا تَحكِـي لَنَـا حِكـايـةً عَـنْ وَاحِـدٍ مِـنَ الأبطـالِ الشُّجعَانِ؟

أَجابتْ خَالَتهُ: ومَا هِيَ الفَائدةُ من ذلِكَ يا سَامِي؟

أَجَابَ: إنَّ الإنسانَ يُحِبُّ في هَذِهِ الحَياةِ أن

يَضَعَ نُصبَ عَينيهِ أُنمُوذَجاً يَقتدي بِهِ ، فَإذا كانَ يُحبُّ الفنَّ والتَّمثيلَ ، تَراهُ يُحاوِلُ تَقليدَ وَاحدٍ مِن الفَنَّانِينَ والمُمثِّلينَ ، حتَّى في طريقةِ مَشيهِ ، بل وطريقَةِ تَسْرِيحةِ شَعرِهِ و....!! وأَنا أُحِبُّ الأَبطَالَ الشُّجعانَ ، لذلكَ أُحبُّ كُلَّ ما له عَلاقَةٌ بِهم.

قال الطَّبيب (أَنور): أَحسنتَ يا سامي فالمسأَلةُ كما قال الشَّاعِرُ:

وَتَشَبَّهُوا إنْ لَمْ تَكونُوا مِثْلَهُمْ

إنَّ التَّشبُّهَ بِالكِرامِ فَلاحُ

فَقالتْ (أُمُّ أحمد): إذا كَانَ الأَمْرُ كذلِكَ ، فإنِّي سَأحكِي لكُمْ حِكَايَةَ وَاحدٍ مِن صَحابَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، وكانَ مَشهوراً بِالبُطولَةِ والشَّجاعَةِ وحبِّ المَوتِ في سبيلِ اللهِ تعالى..

وَأنصتَ الجميعُ للحكايةِ الجديدةِ ، بَيْنَما قَفَزَ (سَامي) من مَكانِ جُلوسِهِ ليجلسَ إلى جِوارِ

خَالتهِ (أمّ أحمد) ، كَي لا يفوتَه حَرفٌ واحدٌ من الحِكَايةِ!

قَالَتْ أُمُّ أَحمد: وَالآن نَبتدِي حِكَايةَ هذهِ اللّيلةِ: بَطلُ الحِكَايَةِ هُوَ (حاطِب بن أبي بَلتعَة) رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، كانَ أحد السَّابقينَ إلى الإسلامِ.

وَلمَّا أُمرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِأَنْ يَجْهَرَ بالدَّعوةِ ، وذلكَ في قَوْلِهِ تَعالى:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

بلَّغ ما أنزلَ اللهُ تَعالى ، فَمَا كانَ مِنْ مُشركِي مَكَّةَ إلاّ أَنْ شَنُّوا حَملةَ التَّشويشِ والأَذَى والتَّعذيبِ عَلَى ضِعَافِ المُسلِمينَ.!!

لكنَّ الرَّعيلَ الأَوَّلِ من الصَّحابةِ صَمَدُوا صُمودَ الجِبالِ الرّواسِي ، حتَّى أذنَ اللهُ بالهِجرَةِ إلى المَدِيْنَةِ المنوَّرةِ.

فَترَكَ (حَاطب) كلّ ما يَملكُ وانطلَقَ مُهاجِراً

مَعَ صَدِيْقِهِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّام ومعَ مَولاهُ سَعْد بن خولي.

وَبعدَ انتقَالِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى المَدِينَةِ ، بَدأَ بعدَّة أُمورٍ ، وأَهمّها: بِناءُ المَسجدِ النّبويِّ الشَّريفِ ، والمُؤاخاةُ بينَ الأَنصارِ والمُهَاجِرينِ ، فَكانَ من نَصيبِ (حَاطبٍ) (عُويم بن سَاعِدَة الأَنصاريّ) رضيَ اللهُ عَنْهُمْا.

ولمَّا وَقعتْ مَعركَةُ بَدْرٍ ، التفتَ رَسُولُ اللهِ إلى تَوازنِ القُوَى ، فرَأىٰ أَمراً مُخِيفاً فمَا كانَ منهُ صَلواتُ اللهِ عَليه إلاّ أَنْ شدَّ على أيديهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: «والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يُقاتِلُهُمُ اليومَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صَابراً مُحتَسِباً مُقبِلاً غيرَ مُدبِرٍ إلاّ أَدخَلَهُ الله الجَنَّة...».

فانطَلَقَ (حَاطبٌ) رَضيَ اللهُ عَنْهُ باتِّجاهِ العَدوِّ ، وَقاتَل قتالَ الأَبطالِ.

وَفِي غَزْوَةِ أُحُد.. لمَّا أُشِيْعَ مَقْتَلُ رَسولِ اللهِ ﷺ.. أَسْرَعَ ثُلَّةٌ من الأَبْطَالِ ووقَفُوا حَاجِزاً مَنيْعَاً ضدَّ المُشركِين كَي لا يَصِلُوا إلى الرَّسُولِ ، وكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ (حَاطِب بن أَبي بلتَعة) فَقَاتَلُوا بِبَسالَةٍ لا مَثِيْلَ لَها..

ولمَّا وَقَعَ رَسولُ اللهِ وكُسرتْ رَباعِيَتهُ ، إذا بِعُتْبَةَ بنِ أبي وَقَّاص يَضربُ رَسولَ اللهِ مُحاوِلاً قَتلهُ.

فَجَاءَه (حاطِب) وَسَأَلَهُ: يا رسولَ اللهِ من الذي كَسَرَ رَباعِيَتَكَ..؟

قالَ: إنَّهُ عُتْبَةُ بن أَبي وَقَّاص.

فَانقضَّ (حَاطبٌ) عَلى (عُتبَة) وضَربهُ بالسَّيفِ ، فَماتَ.

فَلمَّا أُخبرَ رَسُولُ اللهِ بذلكَ قالَ لَهُ: «رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْكَ».

قَالَ (أَبو أَحمد): واللهِ إنَّها لَرتْبَةٌ عاليةٌ ، وإلاّ ما عَلى المُحبِّ عَتَبٌ!!

فَرِضَا الله ورِضَا رَسُولِهِ هُما الأَملُ لكُلِّ مُؤْمِنٍ ، هَذا هُوَ الطَّرِيقُ الواضِحُ إلى جَنَّة اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ.. ، ونَسأَلُ الله أَنْ يرضَى عَنَّا.. آمين... آمين.

السَّفِيرُ النَّاجِحُ!!

تَابعتْ (أمُّ أحمد) حكايتَها الرَّائعةَ ، فَقالتْ: وَحينَما وسَّع رَسولُ الله دائرةَ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى رَاحَ يُرسلُ الرُّسلَ والرَّسائلَ إلى المُلوكِ والأُمَراءِ و...

وكانَ مِنْ بَيْنِ الرُّسُلِ هُوَ (حاطِبُ بن أبي بَلتعَة) حيثُ أرسلهُ الرَّسولُ إلى المُقَوقسِ

مَلِكِ مِصرَ والإسكَنْدرِيَّةِ وجاءَ في الرِّسالَةِ النّبويَّةِ:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، من مُحَمَّد عَبدِ اللهِ ورَسولِهِ إلى المُقَوْقِسِ عَظيمِ القِبْطِ ، سَلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، أَمَّا بَعْد:

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مرَّتينِ ، فإِنْ تولَّيتَ فإِنَّما عليكَ إِثْمُ القِبطِ:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثُمَّ خَتَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الكِتَابَ وقالَ:

«أيُّها النَّاسُ ، أَيُّكُمْ يَنطلِقُ بكِتَابِي هذا إلى صَاحِبِ مِصرَ وأَجْرُهُ على اللهِ».

فَرَفَعَ (حَاطِبٌ) يَدهُ وَقالَ بكلِّ تلهُّفٍ: أنا يا رَسولَ اللهِ.

فَوَضَعَ رَسولُ اللهِ يَدَهُ على رَأسِهِ وقالَ: «بَارِكَ اللهُ فيكَ يا حَاطِب».

وحَمَلَ (حَاطِب) الرِّسالةَ وانطلَقَ إلى مِصرَ، وكانَ سَفِيْراً ناجِحاً جِداً، فَقدِ اسْتَعملَ أُسلوبَ اللِّينِ والحِكْمَةِ، وأَجابَ إجَاباتٍ مُفيدَةً مُخْتَصَرَةً، وَكَانَ من أقوالهِ للمُقَوقسِ:

إنَّهُ كَانَ قبلكَ رَجُلٌ يزعمُ أنَّه الرَّبُّ الأَعْلَىٰ، فأخذهُ اللهُ نَكَالَ الآخرةِ والأُولى فانتقَمَ بهِ ثُمَّ انتقمَ منهُ، فاعْتَبِرْ بِغيرِكَ ولا يَعتَبِرْ غَيْرُكَ بكَ.

فَقَالَ المُقوقِسُ: إنَّ لَنا دِيناً لَنْ نَدَعَهُ إلاّ لِما هُوَ خَيرٌ منه.

فَأَجَابَ (حَاطِب) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نَدعوكَ إلى دِينِ الله الكافِي بهِ الله فَقْدَ ما سِوَاه.

وإنَّ هذا النَّبيَّ ﷺ دَعَا النَّاسَ فكَانَ أَشدّهم عليهِ قُريشٌ وأَعداهُم لهُ اليَهُود ، وأقرَبهم منهُ النَّصارىٰ ، وَلَعَمْرِي ما بشارةُ مُوسى بعيسى إلا كَبشارةِ عيسى بِمُحمَّدٍ ، وما دُعاؤُنا إيَّاكَ إلى القُرآنِ إلاّ كَدُعائكَ أَهْلَ التَّوراةِ إلى الإنجيل ، وكلّ نَبيٍّ أَدركَ قَوْماً فَهُمْ أُمَّتهُ فالحقُّ عَليهم أَنْ يُطِيعُوهُ ، وأنتَ ممَّنْ أدركَهُ هذا النَّبيّ ، ولسنَا ننهاكَ عَنْ دِيْنِ المَسيحِ ولكنَّا نأمُركَ بِهِ!!

ونتيجَةَ ذلكَ كُلّه ، أُعجِبَ المُقوقِسُ بطُرقِ طَرْحِ الأَفكارِ للمناقَشَةِ ، وكَتَبَ رِسَالَةً إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ جاءَ فِيها:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ، لمحمَّدٍ بنِ عَبدِ اللهِ مِنَ المُقوقسِ عَظيمِ القبْط ، سَلامٌ عليكَ أمّا بَعد:

فَقدْ قَرأتُ كتابكَ وَفَهِمْتُ ما ذكرتَ فيهِ وَما تَدعُو إليهِ ، وقد علمتُ أَنَّ نَبِيَّنا بقي ، وكنتُ

أظنُّ أنَّه يخرجُ من الشَّامِ ، وَقد أكرمتُ رَسولكَ وبَعثتُ لكَ بِجَاريتَينِ لهُما مكانٌ في القِبطِ عَظيم ، وبِثيابٍ ، وَأهديتُ إليكَ بَغلةً لتركبهَا ، والسَّلامُ عَليكَ.

وَفِي الطَّريقِ من مِصرَ إلى المَدينة المُنوَّرةِ ، استَطاعَ (حَاطبٌ) رَضيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُدخل الإسلامَ إلى قلْبِ الجارِيتينِ ، وَهُما: (ماريةُ القبطيَّة) والتي تَزوَّجها رَسولُ اللهِ وأنجبتْ لهُ إبرَاهِيْم.

وأختهَا (سِيرين) التي تزوَّجها الشَّاعرُ حَسَّان بن ثابت رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمَعين.

فَقد غَفرْتُ لَكُمْ!!

تَابعَتْ (أمُّ أحمد) الحِكَايَةَ الرَّائعةَ:

ودَارَ الزَّمنُ دورتَهُ ، وكانتِ السَّنةُ الثَّامنةُ للهجرَةِ النَّبويَّةِ ، وجَهَّزَ رسولُ اللهِ لِفتحِ مَكَّةِ ،

لكنَّهُ أَخْفَى الخَبَرَ وأمرَ بِكتمهِ ، لذلكَ كانَ يَدْعُو اللهَ تَعالى قَائِلاً:

«اللَّهُمَّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عَنْ قُريشٍ حتَّى نبغتَها في بلادِهَا».

لكنّ (حَاطبَ) رَضيَ اللهُ عَنْهُ تذكَّر أهلهُ وذرِّيتهُ ، فضعفتْ نَفسهُ ، فكتبَ كِتاباً جاءَ فِيهِ: مِن حاطِبٍ إلى مَكَّة ، إنَّ رسول الله ﷺ قَدْ توجَّهَ إليكُمْ بِجيشٍ كَاللَّيلِ ، يَسير كالسَّيل ، وأقسمُ باللهِ لَوْ سارَ إليكُمْ وَحدَهُ لينصرنَّه اللهُ عليكُمْ ، فإنَّه مُنجزٌ له ما وَعَدهُ فيكُمْ ، فإنَّ الله تَعالى ناصِرُهُ وَوليُّهُ.. ثمَّ لفَّ الرِّسالَةَ وأرسلَها معَ مولاةٍ لِبَنِي عَبدِ المطَّلبِ ، وأعطَاهَا عَشرةَ دنانيرَ.. وتنفَضِحُ الحِكايةُ!!

يَهبطُ الأَمينُ جِبريلُ فيخبرُ رَسولَ اللهِ ﷺ بالمَسأَلَةِ ، فيرسِلُ الرَّسولُ بَعضَ الشَّبابِ

ليَقْبِضُوا على المَرأَةِ ، وأمرهُمْ أَنْ لا يُؤذُوها إلاّ إذا رَفَضَتْ إخراجَ الكِتَاب.. ولمَّا وَصَلُوا إليها ، طَلَبُوا منهَا الكِتَابَ فَرفضَتْ وتَحجَّجَتْ حُجَجاً وَاهيةً..

فهَدَّدها الإمامُ عليّ رضيَ اللهُ عَنْهُ ، فَخافَتْ فأخرجَتْهُ من بينِ شَعرِها ، فتركُوها وَعادُوا بالكِتابِ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ ، واعترفَ (حاطِبٌ) أمامَ الرَّسولِ بالذَّنبِ الذي ارتَكبهُ.. وهذا يُساوي جَرِيمةَ الخِيانَةِ العُظْمى..

وَأنزلَ اللهُ عُذرَ (حاطِب):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ

تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ١ - ٣].

وَاسْتَلَّ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنهُ سيفَهُ وقالَ: يا رَسُولَ اللهِ ، دَعني أَضرِبْ عُنقَ هذا المُنافِق ، فَقدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ.

فَكَانَ ردُّ رسولِ الله ﷺ: «وما يُدريكَ يا عُمَرُ ، لعلَّ اللهَ اطَّلع على أهلِ بدرٍ فقالَ لَهُمْ: اعمَلوا ما شِئتُم فقد غَفرتُ لَكُم».

وداعاً يا سَفِيْرَ رَسُولِ الله..

وهكَذا أَمضَىٰ (حَاطبٌ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طيلةَ العَهدِ النَّبويِّ: جُندياً يطيعُ أَوامِرَ قَائِدِهِ ، وَمُحباً يَتمنَّى رُؤيةَ نُورِ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ... ، حتَّى إذا انتقلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى ، فكانَ مَعَ أبي بَكرٍ وعُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهمَا تِلميذاً وَجُندياً..

وَفِي عَهْدِ عُثمانَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، وفي السَّنةِ الثَّلاثِيْنَ من الهجرةِ ، أسلمَ الرُّوحَ الطَّاهرةَ إلى خَالِقِها ، فَخلَّدهُ التَّاريخُ بَطلاً شُجاعاً ، وسَفِيْراً نَاجِحاً.. فَنسأَلُ اللهَ أن يَحْشُرَنا مَعهُمْ تَحتَ ظلالِ عَرشِ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ وفي ظِلالِ شَفاعَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الاحزاب: ٢٣].

وَإِلَى حِكَايةٍ جَديدةٍ فِي لَيْلَةٍ قادِمةٍ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين